

## من الأول تاني

اعتقد - وكثيرون مثلـي - أن حكم الإدارية العليا ببطلان الجمعية التأسيسية لم يأت فقط ليمـنـع تعدـ صارخ على حق المجتمع ولكن ليـمـنـع فرصة - قد تكون الأخيرة - لعودة القوى السياسية إلى الرشد السياسي وتصحـ انجـازـها لصالـح الوطن وحـده قبل أي مكتـسـبات حـزـبية أو شخصـية.

وإن كان الأمر كذلك .. فعلـينا جـمـيعـا - وبدـون تـزـيد - أن نـتوـاضـع وـأن نـرـدـ الأمـور إـلـى أـصـولـهـا قـبـلـ أن نـشـرـعـ في بنـاء جـديـدـ قد يكونـ عـلـى غـيرـأسـاسـهـمـ أو يـقـيـ عـلـيـاـ. وليـسـ عـيـباـ أن نـعيـدـ عـلـى أـنـفـسـنـاـ الأـمـورـ منـ أولـهـاـ مـرـةـ أـخـرىـ لـعـلـناـ لاـ نـكـرـ خطـاـ .. يـعـنيـ نـعيـدـ منـ «الأـولـ تـانـيـ» ..

الأـصـلـ فيـ الـأـمـورـ أنـ برـغـمـ ماـ يـتـصـورـهـ المـجـلسـ العـسـكـريـ الـحـاكـمـ وـالـقـوىـ السـيـاسـيـةـ بـأـنـ مـاـ يـنـتـهـونـ إـلـيـهـ فيـ اـجـتمـاعـاتـهـ المـتـنـالـيـةـ مـشـرـوـعاـ بـشـكـلـ مـطـلقـ .. بـمـبارـكـةـ وـتـوكـيلـ الـمـواـطـنـينـ لـهـمـ مـنـ خـلـالـ استـقـنـاءـ ١٩ـ مـارـسـ ٢٠١١ـ أوـ فيـ اـنـتـخـابـاتـ الـبرـلـمانـ بـغـرفـتيـهـ .. فإنـ هـذـاـ الـاعـتقـادـ لـيـسـ صـحـيـحاـ عـلـى إـطـلاقـهـ. هـذـاـ التـصـورـ يـكـونـ صـحـيـحاـ قـطـعـاـ عـنـ التـزـامـ كـلـ مـنـ الـمـجـلسـ العـسـكـريـ وـالـقـوىـ السـيـاسـيـةـ .. الـمـمـثـلـةـ بـرـلـمانـياـ أوـ الـمـوـجـودـةـ دـفـتـرـيـاـ فيـ السـجـلـاتـ السـيـاسـيـةـ الـمـصـرـيـةـ مـنـ أـحـزـابـ وـشـخصـيـاتـ وـرـقـيـةـ .. بـنـصـوصـ مـاـ أـوـكـلـهـمـ الشـعـبـ فـيـهـ .. فإنـ حـادـواـ عـنـ حـدـودـ وـشـروـطـ الـوـكـالـةـ فـكـلـ مـاـ يـنـتـهـونـ لـنـ يـكـونـ مـنـ حـيـثـ الـأـسـاسـ صـحـيـحاـ.

بـمـعـنىـ أـدـقـ .. كانـ الـمـسـارـ الـذـيـ اـنـتـهـىـ إـلـيـهـ استـقـنـاءـ ١٩ـ مـارـسـ (ـاخـلـفـنـاـ أوـ اـنـقـنـاـ مـعـهـ)ـ هوـ اـنـتـخـابـ بـرـلـمانـ بـغـرفـتيـهـ (ـشـعبـ وـشـورـىـ)ـ .. فـاـنـتـخـابـ رـئـيسـ جـمـهـوريـةـ .. فـوـضـعـ دـسـتـورـ. كـانـ هـذـاـ هوـ نـصـ الـوـكـالـةـ الـتـيـ أـعـطـيـتـ لـمـلـجـلـسـ العـسـكـريـ لـإـدـارـةـ الـفـتـرـةـ الـاـنـتـقـالـيـةـ عـلـىـ أـسـاسـهـاـ .. وـرـغـمـ تـحـفـظـيـ عـلـىـ تـفـاصـيلـ هـذـاـ التـوـجـهـ إـلـاـ أـنـ لـيـسـ هـذـاـ هوـ مـوـضـعـ مـنـاقـشـةـ مـدـىـ صـحـةـ هـذـاـ الـمـسـارـ مـنـ عـدـمـهـ .. فـهـذـاـ مـاـ لـنـتـهـيـنـ إـلـيـهـ دـيمـقـراـطـيـاـ وـعـلـيـنـاـ جـمـيعـاـ تـحـمـلـ مـسـؤـلـيـاتـهـ. وـفـيـ طـبـياتـ هـذـاـ الـاـخـتـيـارـ كـانـ بـكـلـ الـمـقـاـيـيسـ الـبرـلـمانـ وـالـرـئـيسـ مـؤـقـتـينـ، بـلـ وـمـرـتـهـنـينـ بـحـكـمـ الـمـوـادـ الـاـنـتـقـالـيـةـ الـتـيـ سـتـرـدـ فـيـ دـسـتـورـ الـذـيـ يـأـتـيـ بـعـدـ الـرـئـيسـ، وـلـكـنـ فـيـ حـمـىـ الـاـغـتـامـ السـيـاسـيـ نـسـيـ مـعـظـمـ الـفـرـقـاءـ أـنـ مـاـ يـعـتـنـمـونـ هـوـ مـلـكـ لـشـعـبـ أـوـ كـلـ إـدـارـةـ حـقـوقـهـ، لـكـنـ أـبـداـ لـمـ وـلـنـ يـتـازـلـ عـنـهـ لـأـيـ مـنـهـ.

وـعـلـيـهـ فـيـ وـقـتـ نـجـدـ فـيـهـ سـجـالـاـ بـيـدـاـ بـيـنـ مـرـشـحـيـ الرـئـاسـةـ وـفـرـقـاءـ السـيـاسـةـ مـنـ جـهـةـ وـبـيـنـ الـمـلـجـلـسـ العـسـكـريـ مـنـ جـهـةـ أـخـرىـ .. حـيـنـ أـعـلـنـ المـشـيرـ أـنـ وـضـعـ دـسـتـورـ يـسـيقـ الرـئـيسـ .. مـرـةـ بـدـعـوىـ أـنـ هـذـاـ هوـ مـدـخـلـ لـلـتـسـلـلـ إـلـاـطـالـةـ الـفـتـرـةـ الـاـنـتـقـالـيـةـ .. وـمـرـةـ بـدـعـوىـ أـنـ صـلـاحـيـاتـ الرـئـيسـ يـلـازـمـ أـنـ تـرـدـ فـيـ دـسـتـورـ يـسـيقـ تـولـيـتـهـ وـكـانـ الـأـمـرـ يـخـصـهـ وـحـدـهـ. لـمـ يـرـاجـعـ أـيـ مـنـهـ مـاـ لـتـزـموـاـ بـهـ أـمـامـ النـاسـ بـلـ وـلـ يـظـهـرـ عـلـيـهـمـ أـنـهـمـ يـأـبـهـونـ لـاحـتـسـابـ النـاسـ عـلـيـهـمـ فـيـ تـغـيـيرـ مـاـ اـنـقـقـ عـلـيـهـ دـوـنـ الرـجـوعـ لـلـمـوـاطـنـينـ. وـكـانـهـمـ يـعـلـمـونـ مـاـ يـعـتـنـمـونـ بـأـنـ الشـعـبـ لـيـسـ طـرـفـاـ فـيـ حـكـمـ مـقـرـاتـهـ أـوـ عـلـىـ الـأـقـلـ يـرـيدـونـهـ كـذـلـكـ.

يـرـيدـونـهـ ذـلـكـ الـكـمـ المـهـمـ .. الـذـيـ يـتـحـكـمـ كـلـ أـحـدـ فـيـ مـصـيرـهـ بـجـرـأـةـ تـصـلـ إـلـىـ حدـ الـوـقـاـحةـ دونـ أـدـنـىـ شـعـورـ بـوـجـوبـ التـبـرـيرـ أوـ اـحـتمـالـ الـمـسـائـلـةـ.

الآنـ نـقـولـ إـنـ خـطـيـةـ تـشـكـيلـ الـجـمـعـيـةـ التـأـسـيـسـيـةـ لـنـ يـكـفـرـ عـنـهـ إـلـاـ الـبـحـثـ الصـادـقـ عـنـ مـعـايـيرـ تـوـافـقـ يـقـبـلـ بـهـ عـدـولـ عمـومـ الـمـصـرـيـنـ عـلـىـ اـتـسـاعـ دـائـرـتـهـمـ وـلـيـسـ عـنـ مـعـايـيرـ تـوـافـقـ تـخـصـ فـرـقـاءـ السـيـاسـةـ حـتـىـ وـانـ اـنـقـوـاـ. الـشـعـبـ سـيـقـيـ حـاضـرـاـ مـدـافـعـاـ عـنـ حقـهـ فـيـ دـسـتـورـهـ فـيـ كـلـ مـرـاحـلـهـ. سـيـدـافـعـ عـنـ دـسـتـورـهـ مـنـ أـوـلـ صـحـةـ تـمـثـيلـ قـطـاعـاتـ الـوـطـنـ كـفـاءـةـ وـرـمـزاـ فـيـ التـأـسـيـسـيـةـ، إـلـىـ دـقـةـ تـعـبـرـ موـادـ ذـلـكـ دـسـتـورـ عـنـ طـمـوـحـاتـ هـذـاـ الـوـطـنـ، وـحتـىـ سـلـامـةـ الـاـلتـزـامـ بـهـ أـدـاـةـ لـتـحـقـيقـ الـعـدـلـ وـالـحـرـيـةـ وـالـإـنسـانـيـةـ لـجـمـيعـ أـبـنـاءـ مـصـرـ.

وـأـمـاـ بـالـنـسـبـةـ لـتـقـدـيمـ دـسـتـورـ عـلـىـ اـنـتـخـابـاتـ رـئـاسـيـةـ فـلـيـقـبـلـ بـهـ كـتـعـدـيلـ إـجـرـائـيـ إـلـاـ إـذـاـ ضـمـنـ الشـعـبـ أـنـهـ لـيـسـ مـنـ قـبـيلـ الـمـنـاـورـاتـ السـيـاسـيـةـ الـتـيـ وـلـلـأـسـفـ يـبـتـذـلـ فـيـهـ أـرـقـيـ مـعـانـيـ الـدـوـلـةـ وـهـيـ مـؤـسـسـاتـهـ الـدـسـتـورـيـةـ. فـالـهـرـولـةـ فـيـ وضعـ دـسـتـورـ قدـ تـنـتـهـيـ إـلـىـ وضعـ وـثـيقـةـ لـيـسـ مـنـ خـلـافـ فـيـ مـعـظـمـهـاـ وـلـكـنـهاـ تـبـنـيـ هـكـذـاـ لـتـثـبـيـتـ وضعـ سـيـاسـيـ سـائـلـ لـمـصـلـحةـ فـصـيلـ أـوـ تـيـارـ .. سـتـظـهـرـ أـمـارـاتـهـ مـرـةـ أـخـرىـ فـيـ الـأـلـيـةـ الـتـيـ سـتـعـتـمـدـ فـيـ إـعادـةـ تـشـكـيلـ تـأـسـيـسـيـةـ دـسـتـورـ.

وـلـأـرـىـ قـبـولاـ لـلـاـسـتـجـابـةـ لـضـغـطـ الـوـقـتـ وـادـعـاءـ أـنـ الإـلـاعـانـ دـسـتـورـيـ الـحـالـيـ لـيـسـ كـافـ لـتـولـيـ رـئـيسـ مـنـتـخـبـ (ـوـهـ قـطـعـاـ مـنـافـ لـمـاـ اـسـتـقـنـاـ عـلـيـهـ كـمـ أـشـرـنـاـ قـبـلاـ)ـ إـلـاـ عـلـىـ أـسـاسـ حـدـيثـ وـاـضـحـ مـنـ الـمـلـجـلـسـ العـسـكـريـ وـالـقـوىـ السـيـاسـيـةـ يـعـلـنـ فـيـهـ أـنـنـاـ بـصـدـدـ وـضـعـ «ـدـسـتـورـ مـرـحـليـ»ـ وـلـأـقـولـ «ـمـؤـقـتـ»ـ يـسـعـنـاـ فـيـ إـدـارـةـ مـرـحـلـةـ تـأـسـيـسـ (ـوـلـيـسـ اـنـتـقـلـ)ـ قـدـ تـمـتدـ بـنـاـ عـشـرـ سـنـواتـ عـلـىـ الـأـقـلـ.

وأعلم أن هذا الدستور المرحل يستطيع أن يتعامل مع جميع الإشكاليات الحساسة .. كوضع المؤسسة العسكرية .. إلى طبيعة الحكم المختلط ويكون أحد القوائم التي نعيد عليها بناء مؤسسة سياسة مصرية وطنية تزيل ملامح الركام السياسي الذي نحياه وعيًا وممارسة.

الحقيقة التي يغفل أو يتغافل عنها معظم لاعبي الساحة السياسية المصرية هي أن الشعب المصري قد استرد عصمة حكم وطنه في بده .. وأي مراوغة في «المبادئ» أو «الإجراءات» لن تغير من تلك الحقيقة شيئاً. بل إنها ستزيد الأمور تعقيداً عليهم حيث ستعجل بإحلال من يقوم بتلك المحاكمات السياسية المنتمية للماضي غير مأسوف عليه - بغيره من قوى المستقبل السياسي المصري وهي تتشكل وآتية لا محالة.

إن العقل واقتفاء العدل ونبذ الكبر والإعراض عن الوصاية على الشعب هي طريقنا لمستقبلنا .. وليس ثمة طريق آخر

فكروا تصروا..